الصهيونية». فإنّه بهذه المعادلة وهذا القانون، ينفي وجود الهوية العربيّة على مدى الدّهر الذي سبق ظهور الحركة الصهيونيّة!

ومن حقّنا عليه، بصفة كونه عالماً أشبه بالموسوعة في رجل واحد، أن يكون يقظاً إلى الأخطاء المطبعيّة وألاّ يبني على خطأ مطبعي - خطؤه ظاهر من السّياق نفسه - نظرية متكاملة. إنّني أعني الخطأ المطبعي الّذي ظهر في مقابلتي في مجلة **المجلة**) العدد ٧٤٤ بتاريخ ١٥ - ٢١ أيار ١٩٩٤) حيث جاء على لساني أنه «انشغلت ثقافتنا (الفلسطينية في زمن الانتداب البريطاني - إ. ح.) في الكفاح ضدّ الفاشيّة والكفاح ضدّ العروبة والكفاح ضد الاستعمار وضدّ العنصريّة الصهيونيّة». من الواضح أنه سقطت، من كلامي الأصلي، كلمة «أعداء». أي أنّنا «انشغلنا بالكفاح ضدّ أعداء العروبة» أو ما يشبه هذا المعنى لأنني كنت أجيب على أسئلة المحرّر إجابات شفهيّة وعفو الخاطر. لقد تنبّهت إلى هذا الخطأ المطبعي حين جاءَني متأخّراً العدد المذكور آنفاً من **الآداب**. فلم أشعر بالحاجة إلى تصحيحه، وذلك من منطلق إيماني بسلامة فهم القرّاء وإدراكهم أن أمثالي لا رابطة اجتماعية لهم سوى العروبة أو، الأصحّ، العروبيّة كما علّمنا مديرنا عجاج نويهض.

ويذكّرني هذا الفهم غير السّليم بواقعة لطيفة وقعت مع زميل لنا في أحد الصفوف الابتدائيّة. فقد طلب منا معلم اللغة العربية أن نكتب موضوع إنشاء عن بيت الشعر:

«لولا الحياء لهاجني استعبار

ولزرت قبرك والحبيب يُزار»

فصحّف كلمة «استعبار» على أنها «استعمار». فأنشأ موضوعاً أدبياً في مثالب الاستعمار البريطاني وكلّ استعمار على وجه الأرض. فحطّم مُعَلّمُ اللغة العربية المؤشر على يديْ هذا الطالب النّجيب وعلى جسده من شدّة الضّرب.

ولا أعتقد أن مثل هذا التهذيب يُجدي نفعاً. ودليلي ما قرأناه ونقرأه.

والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه.

إميل حبيبي (حيفا)

١٩٩٤/١٠/١٩

التشدّد... والتّساهل

الأخ الدكتور سهيل ادريس

تحية طيبة وبعد...

فإذا فاتني شرفُ الكتابة إليكم في ندوة تكريم **الآداب** المجلة العربية التي شكّلت الكثيرَ في أدبنا وفكرنا العربي المعاصر، فلن أدع الفرصة الآن تفوتني في خواطر أبعث بها إليكم وقد علقت في ذهني بعد قراءة عدد **الآداب** الصادر في أكتوبر ١٩٩٤.

فقد حفل هذا العدد بكلمتكم القوية المعبّرة في صدق عن الرفض العربيّ لكل محاولة من محاولات التطبيع الجارية مع العدو الإسرائيلي. وقد كانت رؤيتكم واضحةَ المعالم في كلمتكم بعنوان «ثقافتان وواقعان» تقابلها كلمةُ الأديب الكبير أدونيس وقد حسبتُها في مجملها رداً على كلمتكم.. ولكنه وصفها بقوله «ليست ردًّا وإنما هي توضيح أكتبه لرغبة الصديق العزيز الدكتور سهيل. وآمل أن يتاح لي قريباً أن أكتب مقالاً مطوّلاً يتناول مختلف القضايا الثقافية التي تثيرها مسألة السلام مع إسرائيل»(*).

وقد رأيت في كلمتكم ما ينهض دفاعاً مشروعاً وقوياً عن الثقافة العربية.. والواقع العربي المتمرد في جبهته الشعبية العريضة على القرارات الفوقية المحكومة بتوجيهات السياسة الدولية والنظام العالمي.

وهذا الدفاع في حدّ ذاته هو موقف له أُصوله وجذوره بين المواقف الطارئة والهشّة.. ومثل هذا الموقف الرافض يعتبر في تقدير أدبنا أدونيس من المواقف المتشدّدة. فهو يقول «إذا كانت مهمّةُ السياسي التشدُّدَ، فليست مهمةُ المثقف التساهلَ بل تحريك أفكار وطرح رؤى».. وهذه النظرة أرادها بديلاً للموقف المتشدّد الرافض.. ولكن أليس في تحريك وطرح أفكار ورؤى ما يقتضي نوعاً من التشدّد والقوة وسط تيارات صاخبة لا يسمع الإنسانُ فيها إلا الصوتَ القويَّ الهادرَ الملتزم؟

وهذا الموقف في مواجهة فكر معادٍ أكثر تشدداً وعنفاً وعنصرية بغيضةً يوصف بأنه موقف متشددٌ، في الوقت الذي لا يجرؤ فيه أحدٌ في الغرب على وصف الموقف الإسرائيلي المعادي للعرب بأنّه موقف متشدّد وإرهابي. تلك هي نظرة الغرب للصراع العربي الإسرائيلي، فلماذا نأخذ مقاييس الغرب لنحاكم بها سياسة العرب نحو إسرائيل؟

فإذا كانت السياسة تقتضي تعدد المواقف والمراوغة التي تمكّن السياسيين من التشدد حيناً، واللين والتساهل وقبول الحلول الوسط أحياناً أخرى، فإنّ الالتزام بالمبدإ والحق يمنع تبديل المواقف، ويمنع التساهل في اتخاذ القرار السياسي. فالسياسة والثقافة متلازمتان في معركة الحرية والنضال... ولهذا فلا بدّ من اتّخاذ موقف واحد يلتزم جانب الحق، ويتفق فيه السياسيُّ والمثقّف...

يفصل أدينا أدونيس بين السياسة والثقافة ويجعل للسياسي دوراً، وللمثقف دوراً مختلفاً ليس هو التساهل وإنما هو «تحريك أفكار وطرح رؤىً» ليكون هذا الموقف بديلاً عن التشدد الذي يتميز به السياسي ويصح أن يوصفَ به المثقف.

غير أنَّ ما كتبه الدكتور سهيل من كلمات رافضة للتطبيع مع العدو يقع في دائرة العمل السياسي المتشدد، ولكنه يتميّز في الوقت نفسه بتحريك أفكار وطرح رؤى في الثقافة العربية وفي الواقع العربي الرافض. وهذه في تقديري ما يجب أن تكون مهمةُ السياسي ومهمة المثقف معاً وهو ينظر لواقع السياسة والثقافة متفاعلاً مع الأحداث بحسّه الوطني وانتمائه القومي والتزامه الأخلاقي.

ومثلما يجب أن يكون دور المثقّف والسياسي متشدداً في الدفاع عن الحرية، فإنّ دوره يجب أن يكون فاعلاً ومؤثراً في تحريك أفكار وطرح رؤى عن طريق الحوار مع أعداء الثقافة العربية الذين ليس من الضروري أن يكونوا يهوداً. فأعداء الثقافة العربية والحضارة الإسلامية شتات، وقد يكون من بينهم عرب وهم ينطلقون من مشارب متعددة ومدارس مختلفة، وهؤلاء يمكن الحوار معهم شتاتاً أو متحدّين.. ويمكن حضور مؤتمراتهم والعمل الجادّ على تبصيرهم بالواقع والثقافة العربية وتحويلهم من منحازين للتيّار اليهودي الغربي إلى محايدين إن لم ينحازوا إلى جانب العرب حتى يستقيم فكرهم حسب المنطق الديمقراطي الذي يدفع المتحاورين للتفكير بحرية واحترام الرأي الآخر واتّخاذ الموقف الإيجابي المقنع. والدخول في حوار مستمرّ مع هؤلاء المثقفين الغربيين مفيد من الناحية الثقافية والسياسية.. وقد استفادت إسرائيل عبر سنوات طويلة من هذه المؤتمرات

(*) تعليق هيئة تحرير **الآداب**: ما قصده أدونيس ليس رداً على مقالة صاحب المجلة، وإنّما هو مقالة كتبها تلبية لرغبة ادريس في أن يكتب ادونيس رأيه في قضية التطبيع..

والمنتديات ومنابر الفكر والثقافة في العالم كثيراً، فوظّفت كلّ أجهزة الإعلام الغربي لخدمتها وخدمة قضاياها المصيرية. وكانت أمام العرب مثلما كان لإسرائيل فرص واسعة لصنع آلية إعلامية وثقافية تردّ كيد الأعداء وتقيم جسوراً بين الغرب والشرق للحوار والتفاهم وتبادل المصالح. ولكن الهزيمة والخلاف والإحباط التي دخل فيها العرب مكرهين أو راضين أصابتهم في نفسياتهم وجعلتهم تابعين قانعين بسياسة الغرب. وهذا ما أودى بهم إلى حضيض الفشل، فضعفت إرادتهم وتمزّقت وحدتهم وتوالت عليهم الضربات وفُرِضَت عليهم الحلول في كل قضاياهم المصيرية.. وأصبحت إسرائيل المحمية من جانب الدول الغربية هي صاحبة الشأن والكلمة الأخيرة. فبعد أن حققت انتصاراتها في الحرب والسلام أرادت استثمار ذلك في سلام دائم، وسوق مفتوحة، وتطبيع ثقافي يسير في كل جوانب الحياة.

وإذا أخذنا في الاعتبار التطبيع الثقافي كخطوة عملية في مسيرة السلام فهل بالإمكان أن يتم ذلك بين ثقافة عربية وواقع عربي من جهة وثقافة إسرائيلية وواقع إسرائيلي من جهة ثانية؟ وإذا أخذنا في الاعتبار تاريخ ذلك الصراع العربي الإسرائيلي، وهو الذي تشكّل فيه الثقافة اليهودية القائمةُ على العنصرية ركاماً من المتناقضات وتقوم أساساً على عداوة العرب والمسلمين، فهل يكون هنالك تعايش سلميّ؟

لقد قامت إسرائيل على اضطهاد الشعوب العربية والإسلامية وبنت دولتها على أرض مغتصبة من أمة لا تعترف بالكيان الإسرائيلي. وعلى هذا الواقع المتناقض تنعكس ثقافة اليهود عبر التاريخ الطويل، وهي تشكّل الواقع الآن في مناهج التربية والتعليم لناشئة اليهود وفي وسائل الإعلام اليهودية. وتلك هي النظرة الموغلة في الحقد التي تشكّل العقلية الصهيونية بثقافتها في كل مكان، وتعمّقُ الخلافَ بين العرب حتى في جغرافية الأرض إذ يتعلم اليهوديّ خطوطَ خارطة جديدة قديمة لأرض اليهود ـ الحلم تمتد في بقاع شاسعة من أرض العرب.

وقد استطاع اليهود التأثير على نظرة الغربيين بأحلامهم في الأرض.. وبأنهم يعيشون في جزيرة مخيفة يحيط بها أعداء اليهود وأعداء السلام من وحوش العرب. وصوروا ما في داخلهم من حقد وعنصرية على أنه حقد عربي تاريخي ضد اليهود. واستغلوا كل إمكانات الغرب في العداء المستحكم ضد الأمة العربية. واعتبر الغربُ إسرائيلَ، بما تدّعيه من حرية وديمقراطية وتقدم علمي، وجهَ الثقافة الغربية في المنطقة والداعيةَ للسلام والحوار مع العرب. وصوَّر الغربُ العربَ أهل حرب ونزاع مستمر.

وإذا كان ثمة حوار ممكن بين الغرب والشرق فلماذا لا يكون مباشراً وحول القضايا التي تهمّ كل الأطراف، دون أن يكون هدف الحوار تحقيق أمن واستقرار لإسرائيل والحفاظ على مصالحها المغتصبة من العرب علماً أن إسرائيل لا تؤمن بقرارات الأمم المتحدة وتظل على تشدّدها وإرهابها دون أن يصدر بيان واحد من الدول الغربية يدين تصرّفاتها ويضعها في صف الدول الداعية والراعية للإرهاب... بينما تحفل قائمة الأمم المتحدة بأسماء الدول العربية التي ترعى «الإرهاب»، ولا يكف الإعلامُ الغربي عن وصف كل سياسة معادية لإسرائيل بأنها إرهابية ومتشدّدة، ولا يشطب هذا الإعلام اسمَ الدولة المتّهمة برعاية الإرهاب من قائمة الأمم المتحدة إلا عندما تصالح إسرائيل وتعترف بوجودها. فإذا اقتضت السياسةُ الاعترافَ بإسرائيل والتطبيع مع الكيان «الصهيوني»، وعملت منظمة التحرير على شطب كل البنود المعادية لإسرائيل من مواثيقها وعهودها، فهل تستطيع «المنظمة» أو غيرها شطبَ النظرة العربية الشعبية من صدور العرب والمسلمين وقناعتهم بأن إسرائيل ليست ابناً شرعياً في المنطقة العربية وأنها [أي إسرائيل] ليست إلا عصاباتٍ من الشّتات محكومة بالتشرّد وهي ـ بما تحسّ به من ركام تاريخ مظلم ومستقبل يهدده الموت والفناء ـ تتصرف الآن بشعور المضطهد الخائف رغم ما يحيطها من جدار الحماية الغربية وما توفره لها الدول العربية من سلام، فلا تضع وزناً لحقوق الإنسان وكرامته في الحرية والاستقلال؟ ومهما حاولت إسرائيل وحاول الغرب إبراز الوجه الحضاري المسالم لليهود فإن الخلاف بين ثقافة العرب وثقافة إسرائيل وبين واقعها المعيش وبين الواقع العربي لا يسمح أن يكون بينهما تقارب أو تطبيع ولو على السطح كما هو واقع اليوم.

ستظل المعركة دائرة.. والصراع قائماً.. ودور الثقافة أكبر في بلورة الفكر العربي، وفي الالتزام بالحق والإيمان، وفي تحريك أفكار وطرح رؤى كما يودّ أدينا أدونيس. وأرجو أن أطالع ما سيكتبه عن قضايانا الثقافية التي تثيرها مسألة السلام مع إسرائيل.. وقد كانت كلمة الدكتور سهيل ادريس الرافضة ذات أثر كبير وبارقةَ أملٍ في مسيرة الثقافة العربية التي تشوبها شوائبُ التطبيع. وستظل ثقافتنا، بوجهها الحضاري المضيء، هاديةً للأجيال القادمة، فلا تقبل التطبيع ولا تخضع للذوبان في أية ثقافة أخرى لما للثقافة العربية من فضل على كل الثقافات الإنسانية العريقة بمفاهيمها ولغتها الشاعرة والمتفردة.

عمر محمد الحاج (عمان)

قبل أن أغيّر رأيي

على امتداد رسائل ثلاث أصرّ د. شاكر الحاج مخلف على تأنيبي... إلى أن ضاق ذرعي ووجّهتُ له رسالةً باسم الآنسة شاكر الحاج مخلف. فكان ردّه الطريف التالي:

الأخ العزيز سماح المحترم.

تحية اعتزاز وتقدير

حملتْ رسالتك لي نكتةً حقيقية هي بالتأكيد أقوى من طرائف جحا وبرنارد شو وعزيز نسين. والحمد لله أنني لم أغازلْك في رسائلي السابقة.. ولكن لي العذر، فقد أوحتْ لي جميعُ الأحداث والتفاصيل بأنك الأستاذة سماح!! فهل تريد أن تعرف كيف حصل ذلك؟ كنت ذات يوم أتجاذبُ الحديث مع أحد الأصدقاء الأدباء في مقر وزارة الثقافة في الأردن وسألته عن سماح إدريس فأجاب بأنها ابنة سهيل إدريس!! وكانت هذه المعلومة كافية لتضليلي. كذلك شاهدتُ في بيت أحد الأصدقاء فيلماً عربياً هزيلاً بطلتُه تدعى سماح أنور، فأيقنتُ أنني في الاتجاه الصحيح، ولم أتوقعْ أن يكون سماح رجلاً وأديباً رقيقاً (...)، وهذه هي بحد ذاتها مفاجأة كبيرة وثمينة. ولقد مزقتُ رسائلَ الحبّ والغرام التي كنت أريد أن أرسلها إلى الأستاذة سماح لو تأخرتَ قليلاً في ذلك!.

عزيزي الفاضل لقد أعجبني أنّك منحتني العذر في رسالتك، ويا صديقي العزيز، (...) ستكون هذه المفارقة اللطيفة هي من أعمق الوشائج. وأتمنى أن تدوم العلاقةُ الودية الأخوية بيننا ونتواصل في المراسلة. كما أرجو الاهتمام بالمواضيع المسجونة لديكم قبل أن أغير رأيي وأعود عن اعتقادي الجديد!!..

أخوك الدكتور شاكر الحاج مخلف